الاختلاف رحمة (١)

لا اعتقد ان هناك دولة تشكو من مثل هذا التوسع في عدد رجال الدين ومشايخه، كما تشتكي الكويت!!! لم يكن في الكويت، وفي غير عطائها الديني، واحد بالمائة مما هو موجود فيها حاليا من رجال ونساء ايضا، بعد ان بدء العهد الديني للبلاد بخريج الدفعات الاولى من شيخات الدين. تعثر الكثير منهم العمل تحت عطاء وفي كافة المجالات، واصبحت المؤسسة الدينية، بغير الرسمية منها بالذات، تتدخل في كافة امور الناس وتصرفاتهم وطريقة معيشتهم، واصبحوا بشكل او بآخر، ضاغطا على الافراد والمؤسسات والحكومة والهيئات التشريعية، واصبح كل من يقف في طريقهم او يخالفهم الراي او حتى يجرو على عدم التعاون معهم، مذموما وموصوما بأقذع التهم واكثرها خطورة على حياته وامنه الشخصي والعائلي.

تشكلت من كل ذلك العدد الكبير من المريدين والمستفيدين والمؤيدين والمحازبين مؤسسة خرافية في حجمها، شديدة التعقيد في هيراركيتها، رهيبة في قوتها المالية، عالية في نفوذها السياسي!!! وقد تم كل ذلك بصورة بعيدة عن روح الدين الحنيف وجوهره وما يدعو له من رحمة وتراحم، علما بان ظاهره ما يطلق عليه اليوم رجال الدين او مساوه والمتفرعون منه لعملية الوعظ والنصح والافتاء لم تكن موجودة طوال التاريخ الاسلامي، كما لم يكن رجال الدين قديما وحديثا، اي دور رئيسي ومنشار للاسلام في العالم، فقد دخل الاسلام دولا عديدة عن طريق التجار العرب المسلمين وعن طريق المهاجرين المسلمين الذين رحلوا لتلك الاصقاع البعيدة بحثا عن لقمة العيش.

والاسلام دين لا يؤمن بالرهبنة ولا توجد فيه حركة تبشيرية، ولم يدع يوما الى ادخال الناس فيه بالقوة والجبر وهز العصا، كما يقترح الكثير من منظري الجماعات الاسلامية لدينا!!

كان من الممكن التغاضي عن الكثير من التدخلات اليومية في حياتنا لو بقيت تلك التدخلات في نطاق معقول وضيق، ولكن يبدو ان قبول مثل هذه الامور يؤدي عادة الى فتح شهية الطرف الاخر، فيطالب دائما بالمزيد، وكان من الممكن ايضا التغاضي على مضض، عن ذلك لو كان هناك اتفاق على الحد الادنى من الاختلاف بين كل تلك الجماعات الدينية-المتصارعة، وفي الكثير من الميادين وعلى العديد من المناصب والامتيازات المادية والسياسية والاجتماعية، وما يشكله-ذلك من خطورة على النسيج الاجتماعي والديني للمجتمع برمته!!

والاخطر من ذلك ان تتم كل تلك الامور في وقت يتم فيه تغييب فسري واضح للطرف الاخر، الذي لم يتوقف يوما عن المطالبة بتطبيق مبدأ تكافؤ الفرص للجميع، فليس من حق اي طرف كان ان يدعي انه يملك الحقيقة كلها، ولم يخلق البشر لكي يتقاتلوا بل ليتعايشوا ويتعارفوا!!

احمد الصراف